الاستنساخ البشري في الشريعة والقانون

الدكتور محمد واصل
قسم القانون الخاص – كلية الحقوق
جامعة دمشق

الملخص

❖ يعدُّ الاستنساخ البشري من حيث المبدأ أمراً سهلاً ؛ فهو إيجاد بيضة من معطٍ ثم شفط النواة ثم حقن خلية من الشخص الذي تريد نسخه ثم التحريض على البدء بالنمو، وفي التطبيق العملي يوجد الكثير من العقبات التقنية التي يأتي معظمها بتشوهات خطيرة ومعدل النجاح في هذا الأمر مقبول بالنسبة للحيوان، أما الإنسان فلا يمكن القبول به.

❖ وقد أصبح الاستنساخ في العصر الحاضر من القضايا المطروحة ذات الأهمية لما يعترضه من استفسارات وإشكاليات تحتاج إلى بيان وتوضيح بما يتناسب وروح العصر، خاصة بعد اتساع البحوث المتعلقة بحقوق الإنسان، والتي تشكل حرية الاعتقاد فيه الركن المكين الذي لا يقبل المساومة أو المجادلة ؛ لذلك فالاستنساخ لا يطرح فقط الأسئلة العادية حول كيفية تنظيم أية تكنولوجيا، بل إنه يقدم أيضاً تحديات أخلاقية وسياسية ودينية، كثيرٌ منها يجتاز حدود التحرر والمحافظة على الرغم من أن الإخصاب الصناعي قد ساعد الكثير من الأزواج المحرومين على الإنجاب في أن يكون لهم أطفال. إلا أن السؤال الأخلاقي الأصعب هو: هل نقبل بالاستنساخ البشري والتعديل الجيني؟

ليس هذا مسألة خيار أخلاقي، لكن كما هو الحال في معارضتنا لزرع أعضاء الحيوانات في الإنسان، هي مسألة سلامة. لذلك ناقشنا في هذا البحث هذه القضية بطريقة علمية وأخلاقية وقانونية وفقهية آخذين بالحسبان المستجدات العصرية، وما تقذفه أرحام المطابع من آراء وأفكار لعلماء وفقهاء وطوائف حول هذه القضية.

* وما زال النقاش محتدماً والخلاف قائماً حول قضية الاستنساخ البشري التي يميل بعض العلماء والمفكرين والطوائف نحو إباحته، على حين يتشدد بعضهم الآخر ويقف ضد ذلك. فقد أدان البابا يوحنا استنساخ الأجنة، ودعا العلماء إلى احترام كرامة الإنسان،وحرم فقهاء الشريعة الإسلامية الاستنساخ بكل أنواعه واعتبروه جريمة منكرة لا تقره الأديان، وأنه

سوف يؤدي إلى اضطراب الإنسان والمجتمع وانعدام الأسرة والعائلة، وهذا ما عبرت عنه توصيات ندوة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي عقدت في الدار البيضاء عام /١٩٩٧/ لدراسة مسألة الاستنساخ والأحكام الإسلامية في هذا المجال قائمة على أساس العدل والإنصاف، فلا ترتجل ولا توضع بيد أحد ممن له الصلاحية في الحكم في مثل هذه القضايا الهامة ؛ حتى لا ينقلب المجتمع فوضى لا ضابط لها؛ لأن الخوف الأكبر هو أن يمثل الاستنساخ شكلاً من أشكال الاستبداد على الأجيال القادمة

ويتضمن هذا البحث النقاط الرئيسة التالية:

١. مفهوم الاستنساخ اللغوي والعلمي الاصطلاحي.
٢. عرض أنواع الاستنساخ بشكل مفصل.
٣. بيان الطبيعة الحقوقية للاستنساخ.
٤. تحديد المواقف والاتجاهات من عمليات الاستنساخ، وبيان آراء لعلماء ورجال فقه وقانون ومنظمات دولية وعربية وإسلامية وعرض للجهود المبذولة في معالجة هذه الظاهرة في إطار الإعداد لإصدار التشريعات اللازمة التي تحظر الاستنساخ بجميع أنواعه وصوره وأشكاله.
٥. المقترحات والتوصيات.

مقدمة:

يذهب الخيال العلمي بعيداً في كثير من الأحيان، ولكن التجارب التي تتم في المخابر من قبل العلماء قد تجعل الخيال حقيقة، وعندما ينتقل الخيال إلى الواقع، فإن ذلك يؤدي وإمَّا إلى نتائج مفيدة تخدم البشرية في وجودها، وإمَّا إلى نتائج ضارة تهددها في هذا الوجود، وما من شك أنه في مثل هذه الأحوال نجد أشخاصاً يقفون على المنابر إما للتأييد وإما للمعارضة والتنديد، وقد تدق الخيارات وتتباين المواقف عندما تحمل البحوث العلمية في بعض جوانبها آثاراً مفيدة وفي بعضها الآخر نتائج ضارة، ولعل أبرز المسائل التي تطرح نفسها على العالم اليوم هي مسألة الاستنساخ. لذلك فإننا سنبحث في :

١- مفهوم الاستنساخ

٢- أنواع الاستنساخ

٣- الطبيعة الحقوقية لعمليات الاستنساخ

٤- موقف الشريعة والقانون

٥- الخاتمة

أولاً - المفهوم :

يعدُّ الاستنساخ من المصطلحات العلمية الحديثة لذلك فإنه يصعب أن تجدها في قواميس قديمة، وكلمة استنسخ الكتاب في اللغة تعني أقام شيئاً مُقامه واستنسخ ما في الخلية أي حوَّلها إلى غيرها[1].

هذا، وإن المعنى العلمي الاصطلاحي للاستنساخ لا يختلف عن المعنى اللغوي، وهو يعني قيام العلماء بصنع خلايا أو أجنة مطابقة لخلايا أو لأشخاص موجودة سابقاً عن طريق الصبغيات المورثة للجنس أو الحامض النووي (DNA)، وقد تم التدخل العلمي أولاً بإجراء تجارب على الحيوان فنشأ ما يسمى بالتهجين، حيث تم إيجاد سلالات معينة من الحيوانات وفقاً لما يرغب فريق العلماء في هذا المجال.

أمّا الاستنساخ البشري، فلم يظهر إلى النور كما هو عليه الأمر الآن، فإنه كان يتم عادة في الظلام، وكان أقصى ما ظهر منه هو تلك التجارب المتعلقة بطفل الأنبوب دون أن يشار إلى التدخل الجيني في البويضة الملقحة. أمّا الاستنساخ وفقاً لما هو قائم اليوم فإنه يذهب إلى التدخل الجيني في تلقيح البويضة عن طريق اختيار عناصر التلقيح وبذلك يمكن أن يخلقوا أشخاصاً كانوا موجودين في الماضي عن طرق الحامض النووي الذي يشك في مدى بقائه أو الاستفادة منه إذا مضى عليه وقت طويل.

ولعل أبرز ما أثار الرأي العام العالمي في هذا الصدد هو استنساخ النعجة (دوللي)من قبل فريق العلماء الذي قاده العالم IanWilmut ، وذلك في معهد روزالين في منطقة أدنبرة الاسكتلنديه عام ١٩٩٦، والخوف من تطبيق نظريات استنساخ الحيوانات على البشر.

---

[1] القاموس المحيط، الفيروز آبادي - مؤسسة الرسالة، طبعة ٩٣، ص ٣٣٤

كما تشير الأنباء إلى أن آمالاً كبيرة عقدت على فكرة الاستنساخ من أجل الإبقاء على كثير من الحيوانات المعرضة للانقراض مثل دب الباندا الذي يعيش في الصين، والماعز الجبلي في إسبانيا لذلك بدأ سباق محموم في مخابر العلماء على الفئران والقرود من أجل تطبيق نظرياتهم في جميع أنحاء العالم.

ثانياً - أنواع الاستنساخ البشري:

تتجه نظريات الأطباء العلماء وتجاربهم وغيرهم من علماء البيولوجيا إلى نوعين من الاستنساخ هما استنساخ الخلايا والأعضاء واستنساخ الأجنة، وهذا ما نعرضه وفق ما يلي:

١- استنساخ الخلايا والأعضاء البشرية :

يذهب فريق من العلماء إلى البحث المستمر من أجل تأمين قطع غيار بشرية، وذلك باستخدام كل ما لديهم من علوم وتقانات لذلك فهم يأملون في تصنيع قلوب وكلى وأكباد ... يحتاجها البشر، وإلى إيجاد حيوية المفاصل والعظام والجلد وتأمينها عن طرق تجديد حيوية خلاياها. لذلك فهم يستطيعون تكوين أنواع جديدة من الجلد بإضافة عينة من الجلد الطبيعي إلى مادة صناعية.[٢].

ويتوجه العلماء في هذا المجال بشكل أساسي إلى عزل وزرع خلايا جينية قادرة على التحول إلى أعضاء الجسم، لذلك فإن اهتمامهم ينصب حالياً إلى إنشاء بنوك متخصصة لخلايا (بيتا) المنتجة لهرمون الأنسولين لتنظيم مستوى سكر الدم.

هذا، وعلى الرغم من أنَّ العلماء يميلون إلى الحصول على الخلايا البشرية من أجنة مجهضة إلا أنهم مهتمون بتطوير عمليات الاستنساخ لأن من شأن ذلك إنتاج أنسجة لا يرفضها جسم الإنسان، ويجري ذلك بأخذ الحامض النووي (DNA) من المريض واستخدامه للحصول على جنين مستنسخ، وإن الخلايا التي يتوجهون لإنتاجها هي تلك الخلايا الأساسية التي بإمكانها التطور إلى أنواع مختلفة من الخلايا والأنسجة والأعضاء والعظام والعضلات والأعصاب [٣].

٢- استنساخ الأجنة :

يعدُّ استنساخ الأجنة من أخطر أنواع الاستنساخ البشري، حيث لا يكتفي العلماء باستنساخ قطع الغيار البشرية بل يتجهون إلى صنع إنسان كامل عن طريق استنساخ الأجنة.

هذا وتتشابه عملية استنساخ الأجنة البشرية مع تلك التي تستعمل في استنساخ الحيوانات، وتتم عن طريق حقن خلايا من رجل في بويضة تزرع فيما بعد في رحم امرأة، حيث يحمل الطفل الناتج عن العملية سمات أبيه الجسدية وصفاته، ويسمى هذا النوع من الاستنساخ بالاستنساخ التكاثري.

ولهذا، فإن الاستنساخ التكاثري يحتاج دائماً إلى أنثى من أجل زرع البويضة الملقحة، ولكن ما هو الموقف لو كانت البويضة الملقحة لا تعود للمرأة التي تزرع في رحمها ؟، أو كانت البويضة

---

[٢] د. إيهاب عبد الرحيم محمد - قطع الغيار البشرية - العربي، العدد ٤٩٧، نيسان ٢٠٠٠م ص ٩٠-٩٤

[٣] ـب.ب.س لاين ٢٠٠١/١/٢٢م، ص ١ (بواسطة الانترنيت)

ملقحة من خلية تعود للمرأة ذاتها؟ فالأسئلة كثيرة، ويمكن أن نجيب عليها عند البحث في تحديد المواقف والاتجاهات من عمليات الاستنساخ.

ثالثاً - الطبيعة الحقوقية للاستنساخ:

ينطوي الاستنساخ الذي يهدف إلى إيجاد نسخة طبق الأصل عن كائن حي نباتاً أو حيواناً أو إنساناً تحت مفهوم التجارب العلمية، وإذا كانت معظم دول العالم أجازت التجارب والبحوث على النباتات والحيوانات لتقديم خدمات للبشرية في حياتها وفي وجودها. فهل الأمر ذاته بالنسبة للتجارب والبحوث التي تتم على الإنسان؟.

لهذا، فإن فقهاء القانون يصنفون البحوث العلمية على الإنسان تحت مفهوم التجارب الطبية على الجسم البشري، وهذه التجارب تختلف عن تلك المعاينات والتحليلات التي يقوم بها الأطباء من أجل تشخيص الحالة المرضية للإنسان، من أجل وصف الدواء المناسب له، كما تختلف عن مسألة تجريب علاج جديد لبعض أنواع الأمراض المستعصية.

فالتجربة الطبية على الجسم البشري وفقاً لمفهوم الاستنساخ هي تلك الأعمال العلمية التطبيقية التي يقوم بها الأطباء دون ضرورة تمليها حالة الإنسان المرضية، بل تتم من أجل تطوير بحوث وتجارب لخدمة العلم وربما الإنسانية [٤].

كما يمكن أن نقول: إنَّ التجارب الطبية هي عمل فني طبي يخضع بموجبه جسم الإنسان لوسائل مبتكرة، أو لأفكار نظرية في علم طبي معين لبيان مدى تأثيره فيه، أو بتطبيق حالة واقعية بطريق غير مألوف (طفل الأنبوب)[٥].

وهكذا يجب التفريق بين التجارب الطبية العلاجية وتلك التجارب غير العلاجية، حيث تتم التجارب العلاجية على إنسان مريض بهدف شفائه أو إنقاذ حياته من مرض يعاني منه، أو التخفيف من آلامه، وتدخل هذه في باب الواجب المهني لكل طبيب[٦].

أمَّا التجربة غير العلاجية فهي تلك التي تتم على إنسان سليم صحياً ونفسياً عن طريق تطبيق أفكار التهجين المطبقة على النباتات والحيوانات والمتعلقة بالوقاية أو العلاج أو إنتاج سلالات جديدة من البشر.

---

[٤] - الدكتور حسن زكي الأبراشمي - مسؤولية الأطباء والجراحين -، مؤسسة نوفل ١٩٨٥، ص ٢٨٦، وانظر أيضاً د. منذر الفضل، التجربة الطبية على الجسم البشري - مجلة العلوم القانونية - بغداد - ص ٨٧.

[٥] د. محمد واصل، الحقوق الملازمة للشخصية، دار الجاحظ ١٩٩٥، ص ١٩٦

[٦] د. محمد حسين منصور - المسؤولية المدنية للأطباء والصيادلة.. دار الجامعة للنشر، الاسكندرية ١٩٨٩، ص ٥٥.

ومهما كانت صور تلك التجارب، فإنها تعدُّ خروجاً على حق التكامل الجسدي للإنسان وحرمته، وبموجب ذلك فإنه يحق لكل إنسان أن يرفض الخضوع إليها، كما يمكنه أن يرفض الخضوع للتحليل الطبي [٧].

إلا أن بعض الفقهاء يجيز إجراء التجارب الطبية على الإنسان حتى ولو كانت علمية محضة إذا تمت بموافقته[٨]، في حين يرى آخرون أن حرمة جسم الإنسان وقدسيته تمنع إجراء أية تجربة عليه حتى ولو تمت بموافقته لأن الإنسان ليس مالكاً لجسمه [٩].

هذا، وإذا كانت التجارب الطبية على الإنسان بمفهومها العام، محل جدل بين العلماء والفقهاء والأطباء، وتحتاج إلى الكثير من الضوابط والتحديدات. فكيف يكون الأمر إذا كانت تلك التجارب تتعلق بالاستنساخ. ؟

رابعاً ـ الموقف من عمليات الاستنساخ:

يفرق رجال العلم والفقه والقانون بين استنساخ الخلايا والأعضاء البشرية اللازمة لأغراض علاجية وبين استنساخ الأجنة لأغراض تناسلية والذي من شأنه صنع نسخة طبق الأصل عن كائن بشري.

وقبل بيان المواقف من المسألتين المذكورتين آنفاً، يجب أن نفرق بين الاستنساخ والهندسة الوراثية، حيث يهدف الاستنساخ إلى صنع أعضاء أو أجنة متماثلة يحمل كل منها ميزات الآخر تماماً، أمّا الهندسة الوراثية فتهدف إلى التعرف على التسلسل الجيني للمورثات (الصبغيات) التي تمكننا من معرفة الأمراض الوراثية ومعالجتها. كما نستطيع بواسطة الهندسة الوراثية الحصول على أدوية جديدة ومفيدة للإنسان [١٠].

لذلك يجب عدم الخلط إطلاقا بين المصطلحين أو المفهومين، وسنعرض فقط للمواقف والآراء من الاستنساخ لأغراض علاجية، والاستنساخ لأسباب تناسلية وفق الآتي:

١ـ الاستنساخ لأغراض علاجية:

وافق البرلمان البريطاني بغالبية ٣٦٦ صوتاً في مقابل ١٧٤ صوتاً على اقتراح حكومة طوني بلير بإجازة الاستنساخ من الأجنة البشرية لأغراض علاجية، بحجة أن الهدف من القانون هو

---

[٧] كاربو نبيه، القانون المدني، ج١ - باريس ١٩٩٨، ص ٢٣٢-٢٣٣

[٨] د. حسام الدين الأهواني، أصول القانون، ص ٤٢٤- ٤٢٥ و محمد عيد غريب،التجارب الطبية، ص ٩و٦٥

[٩] د. عبد السلام السكري، نقل وزراعة الأعضاء ص ١٧٥

[١٠] الدكتور حسان شمسي ، الاستنساخ البشري هل هو قادم، الانترنيت ٢٠٠١/٥/٢٤م .www alsaka com

تشجيع البحوث على العلاج عبر الخلايا الذي يوفر إمكانات واسعة للتخفيف من آلام آلاف الأشخاص.وبهذا فإن القانون الإنكليزي يتيح توليد أجنة لأغراض البحث لاستخدام خلاياها كقطع غيار لمعالجة أمراض ليس لها علاجات مثل الزهايمر وباركينسون وغيرها [١١].

إلا أنه وبمقابل ذلك يقول بيتر غاريت الناطق باسم منظمة لايف المعارضة للإجهاض ((إن استخدام الأجنة المستنسخة لإنتاج أنسجة للبشرية في عمليات زرع الأعضاء يشابه إلى حد كبير أكل لحوم البشر)) [١٢].

بينما يرى المدافعون عن استنساخ الأجنة لأغراض علاجية أن هذا الاستنساخ لا يهدف إلى إنتاج نسخة كاملة بل يهتم بالمراحل الأولى للجنين من أجل الاستفادة من خلاياه الأساسية والتي يمكن تطويرها إلى أنواع مختلفة من الخلايا والأنسجة والأعضاء والعظام والعضلات والأعصاب، وبأن استنساخ الأجنة من جسم المريض يؤدي إلى عدم لفظها من جسمه عند زرعها فيه [١٣].

وتذهب الدكتورة الهام أبو الجدايل إلى أنها تستطيع تقديم البديل لتقنية استنساخ الأجنة للغرض العلاجي باستنباط ما يعرف بالخلايا الجذعية من خلايا أشخاص بالغين تؤدي الغاية المطلوبة نفسها من خلايا الأجنة، وهي تسعى لأن تبرم عقداً احتكارياً لهذا الابتكار ولكنها تحتاج في الوقت نفسه إلى متطوعين لتطبيق نظريتها[١٤].

ويرى آخرون ((أن كل ما ينفع الناس جائز ضمن ضوابط قانونية وأخلاقية، لأنه لا يجوز عقلاً وفقها الوقوف بوجه التقدم العلمي بحجة الحلال والحرام، وأن الاستنساخ الذي أجيز في بريطانيا خطوة ممتازة وشجاعة ما دامت أنها توظف لمصلحة الإنسان [١٥].

مهما كانت الآراء فإن الحصول على خلايا من أجنة مجهضة، أو من خلايا استنساخ أجنة عن طريق أخذ الحامض النووي (DNA) من المريض وتلقيح بويضة لأنثى بهدف الحصول على جنين مستنسخ تطابق خلاياه خلايا المريض فإنه أمر يرفضه العقل السليم والفطرة التي فطر الإنسان عليها، لأن الإجهاض في الأصل حرام شرعاً ومعاقب عليه قانوناً ولأن إنتاج أجنة مستنسخة من أجل الحصول على خلاياها منه اعتداء على الحق في الحياة وعلى الكرامة الإنسانية. لذلك فإننا ندين كل عملية استنساخ لأي جنين لأن للجنين حرمة ولاسيما إذا ما نفخت الروح فيه. ونحن لا نعلم أين تتوقف تجارب العلماء بالنسبة للجنين المستنسخ ؟ ولا نعلم هل يحتاج إلى رحم امرأة لحضانته؟ أم أنهم سيتولون هذه المهمة في مخابرهم.

من أجل ذلك فإن البابا يوحنا الثاني أدان استنساخ الأجنة ودعا العلماء إلى احترام كرامة الإنسان، وقال في حديث موجه إلى مؤتمر دولي للعلماء ((إنَّ الاستنساخ البشري غير مقبول أخلاقياً ولو كان الغرض منه الحصول على أعضاء بغرض استخدامها في عمليات زرع الأعضاء)) [١٦].

---

(١١) http: // news , masrawy. com. 26.5.01

(١٢) file : //a: / BBC Arabic News 22.1.01

(١٣) fill : // A : BBC Arabic News 26.2.01

(١٤) http: // News. bb. Co. UK 26.5.01

(١٥) file : // A BBC Arabic News 22.1.01

(١٦) http : // News bbc co. UK 26.5.01

كما أن فقهاء الشريعة الإسلامية يحرمون تلقيح أية بويضة بغير خلايا زوجها، واعتبروا ذلك عملاً حيوانياً ونباتياً يخرج عن المستوى الإنساني، وجريمة منكرة، وإثماً كبيراً، ولا تقره الأديان، وانزلاقاً إلى العار والانحطاط[١٧].

٢ـ الاستنساخ التكاثري :

يهدف الاستنساخ التكاثري أصلاً إلى صنع كائن بشري كامل عن طريق عمليات زرع الخلايا، وإنتاج بويضة ملقحة، وزرعها في أنوب اختبار أو في رحم امرأة بحيث يكون الكائن المستنسخ مطابقاً للصفات البيولوجية والوراثية التي أرادها المستنسخ.

وفي هذا الصدد يجب أن نفرق بين حالتين حالة الاستنساخ لمواجهة العقم عند النساء أو الرجال المتزوجين من أجل مساعدتهم على الإنجاب، وحالة الاستنساخ بالمفهوم العلمي العام الذي يهدف إلى خلق أطفال عن غير طريق مؤسسة الزواج.

آ ـ الاستنساخ لعلاج العقم :

يقضي النص الشرعي أن الله ﴿ يخلق ما يشاء ويهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء ذكوراً، ويجعل من يشاء عقيماً ﴾ [١٨]. كما يقضي أن إنجاب الأطفال لا يكون إلا عن طريق زواج صحيح بين رجل وامرأة تحلُّ له شرعاً، وأن الإنجاب يتم عن طريق تلقيح بيضة المرأة بمني زوجها داخل رحم المرأة، إن هذه سنة الله في خلقه لقوله تعالى ﴿ خلق من ماء دافق يخرج بين الصلب والترائب﴾ [١٩].وقوله سبحانه وتعالى ﴿ إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ [٢٠].

إلا أنه قد يتعذر التلقيح الطبيعي داخل رحم المرأة، ويرغب الزوجان في إنجاب طفل استكمالاً لسنة الكون، وقد توصل علماء الطب إلى إمكانية التلقيح خارج رحم المرأة وإعادة شتل البويضة الملقحة، أو الجنين الناشئ عن عملية التلقيح في رحم المرأة صاحبة البويضة من أجل الحصول على ولد. الأمر الذي جعل فقهاء الشريعة يقرون هذه العملية باعتبارها تتفق مع غاية الشريعة ومقاصدها. إلا أنهم حظروا تلقيح البويضة بغير مني زوجها، وزرع البويضة في غير رحم صاحبتها منعاً من اختلاط الأنساب وحفاظاً على الكرامة الإنسانية[٢١].

أما علاج العقم عن طرق الاستنساخ بواسطة الخلايا التي قد تؤخذ من المرأة ذاتها، أو من زوجها فإنه يتم عن طريق أخذ خلية جسدية من جسم الإنسان، ثم أخذ نواة الخلية وزرعها في بويضة امرأة بعد إفراغها من نواتها بواسطة مواد كيماوية خاصة مع تيار كهربائي معين، حيث يتم دمج

---

[١٧] الإمام محمد شلتوت، الفتاوى، دار الشروق، الطبعة (١٠) ١٩٨٠، ص ٣٢٨و ٣٢٩ و د.يوسف القرضاوي، فتاوى معاصرة، دار القلم للنشر والتوزيع - الطبعة /٣/ الكويت ١٩٨٧ - ص ٥٦٨.

[١٨] سورة الشورى - الآيتان ٤٩ و ٥٠

[١٩] سورة الطارق، الآيتان ٦ و٧

[٢٠] صورة الإنسان، الآية ٢

[٢١] الإمام محمد شلتوت- المرجع السابق ص ٣٢٧ - ٣٢٩، ود. يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص ٥٦٢ - ٥٦٣ , و د. حسام الدين الأهواني، أصول القانون، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٨ - ص ٤٣٠

نواة الخلية مع البويضة، وبعد ذلك تزرع الخلية في رحم المرأة حيث تبدأ بالتكاثر والنمو، وينتج عنها جنين كامل يولد لاحقاً بشكل طبيعي،ويكون نسخة مطابقة للرجل الذي أخذت منه الخلية[٢٢].

كما يمكن أن يتم الاستنساخ بطريقة أخرى تسمى الاستنساخ الجيني، عن طريق إيجاد نسخ مطابقة للجنين في رحم الأم عن طريق قسم الجنين في مرحلة التكوين إلى خليتين ومن ثم إلى أربع ... الخ حيث تكون جميع الخلايا متطابقة، وينتج عن ذلك التوائم المتماثلة.

هذا، ويرى الإمام الشيرازي أن الأصل هو جواز مثل هذا الاستنساخ، إلا أنه يوجد محذور شرعي قد يؤدي إلى اختلال النظام، وأنه لا بأس من زرع خلية الرجل في بويضة زوجته،ولا يستحسن زرع خلية المرأة في بويضتها لأن فيه محذور شرعي أيضاً، وبأن الولد الناشئ عن الاستنساخ يكون بحكم ولد الشبهة، ولا يجيز زرع خلية غير الزوج في رحم امرأته [٢٣].

في حين يرى الباحث عبد عبد أن ليس من الفطرة أن يتم الإنجاب والتكاثر عن طريق الاستنساخ، فالفطرة تقتضي أن يتم الإنجاب عن طريق تلقيح الحيوان المنوي للذكر ببويضة الأنثى على أن يكون بينهما عقد زواج صحيح[٢٤].

والذي نراه هو أن معالجة العقم أو عدم الإنجاب حتى بين الزوجين عن طريق الاستنساخ يناقض الطبيعة التي فطر الإنسان عليها، ونبرر ذلك بتحقيق مصلحة للزوجين، وما دام أنه لا يمكن وضع ضوابط محددة وواضحة لذلك الاستنساخ، ما دام أنه لا يمكن التحكم بالآثار أو النتائج المتولدة عنه.

ب - الاستنساخ المجرد :

يهدف الاستنساخ المجرد إلى إنتاج أطفال بناء على طالب الباحث أو المخترع، حيث يقوم بتحضير الخلايا من الأشخاص الذين يرغب باستنساخهم، والحصول على بويضة من امرأة عن طريق التبرع أو عن طريق التحليل المخبري دون علمها أو إرادتها، ويقوم بعملية تحضير البويضة المدمجة كأساس لعملية الاستنساخ، ويمكن أن يلجأ إلى تحضير الجنين في أنبوب الاختبار، ثم يقوم بزرعه في رحم امرأة متبرعة وليس بالضرورة أن تكون متزوجة، أو أن يقوم بزرع البويضة المصنعة مباشرة في رحم المرأة المتبرعة.

هذا، وقد دعا العالم إيان ويلموت الذي قاد فريق العلماء الذي استنسخ النعجة دوللي إلى طمأنة مخاوف الناس من عمليات الاستنساخ، وعدم إضاعة فرصة علمية ثمينة، ودعا المجتمع إلى مساعدة العلماء في طموحاتهم البحثية [٢٥].

في حين يرى الدكتور منذر الفضل أن الاستنساخ خطوة شجاعة تصب في خدمة البشر،ويجب مواكبة التطور، ولكنه يدعو إلى منع التجارب العشوائية القائمة على الاضطراب وعدم التنظيم،

---

[٢٢] عبد عبد - الاستنساخ

[٢٣] الإمام الشيرازي، الاستنساخ،

[٢٤] عبد عبد، المرجع السابق ص ٢

[٢٥] القلق من الاستنساخ يضيع فرصاً علمية ثمينة.

وإلى ضرورة وجود لجنة دولية بإشراف الأمم المتحدة تضم علماء استنساخ ورجال دين وقانون وفلسفة لوضع ضوابط صحيحة لذلك [٢٦].

هذا، ويذهب الدكتور سمير غريبة إلى القول: إنَّ الاستنساخ تقنية فذة وفريدة، وحدث مثير يمكن أن يضع حداً لمأساة بيع الأعضاء وخطف الأطفال وشراء الأجنة، وللمافيا التي احترفت هذه المهنة، ويشكل الاستنساخ أملاً لبعض المحرومين، إلا أنه يحظر من أن يستنسخ الطغاة أنفسهم، ومن أن يستخدم وسيلة ببعض الفيروسات مثل الإيدز [٢٧].

كما يعرض غيرهم فيقو: إنَّ الاستنساخ البيولوجي ما هو إلا اكتشاف لحقائق أودعها الله سبحانه وتعالى في خلقه، وإن الاستنساخ شبيه بالتبرعم ودليل علمي على المعتقدات الدينية كالبعث والنشور..))[٢٨].

هذا، وفي الوقت الذي يرى فيه بعضهم أن الاستنساخ فتح علمي يؤدي خدمات كبيرة للبشرية، فإن بعضهم الآخر يرى فيه شراً كبيراً يؤدي إلى دمار القيم والأخلاق، وبأنه عمل مشين مخالف للإسلام ولكل الأديان، وضد البشرية،ولا يمكن أن تكون له أية فائدة طبية تقارن بالأضرار الناجمة عنه وسوف يؤدي إلى اضطراب الأنساب والمجتمع، وقد يستخدم لتحقيق أغراض إجرامية كاستنساخ المجرمين وغيرهم، وإلى انعدام فكرة الأسرة والعائلة، وإلى إلغاء فكرة فردية الإنسان لإمكانية انتشار نسخ مطابقة له تماماً [٢٩].

كما أن قضية الاستنساخ التكاثري لم تعد مشكلة عابرة، تسترعي اهتمام بعض الأشخاص بل أصبحت قضية قائمة على الصعيد الداخلي والدولي وعلى صعيد الفقه والقانون.

ففي المملكة المتحدة طالب رجال الدين مجلس اللوردات بمعارضة خطط الحكومة بتوسيع الحدود القانونية لبحوث الأجنة، وبتأثير ذلك تتجه الحكومة البريطانية إلى إصدار تشريع يحظر استنساخ الأجنة البشرية.[٣٠].

وفي الولايات المتحدة الأمريكية حيث بدأت شركة (كلونيد) لمجموع (رايل) أو (طائفة الرائيليين)[٣١].في مختبر سري باستنساخ أول كائن بشري بقيادة العالمة الفرنسية بريجيت بويسلر، فإن العلماء يحذرون من كارثة الاستنساخ البشري، لأن المشاكل الكثيرة التي اكتشفت لدى الحيوان المستنسخ ستشكل كارثة على الإنسان.[٣٢].

---

[٢٦] د. منذر الفضل، المرجع السابق ص ١

[٢٧] د. سمير غويبة file : // A : / BBC. Arabic News 22.1.01

[٢٨] د. عامر الخزاعي، أستاذ مساعد في الجراحة، المرجع أعلاه

[٢٩] د. حسان شمسي باشا، الاستنساخ البشري، هل ه قادم، ص ١-٥ و عقل عبود، المرجع السابق ص ٢، وعبد عبد، المرجع السابق ص ١و٢

[٣٠] http : // news BBC. CO.UK/ 26.5.01 -FILE : // A: / BBC. Arabic News

[٣١] طائفة الرائيليين تضم نحو ٥٥ ألف شخص في العالم يؤمنون بأن الحياة على الأرض نشأت بفضل كائنات فضائية وصلت في طبق طائر منذ ٢٥ ألف عام، ومؤسس هذه الطائفة هو الفرنسي كلود فوريكون والذي أطلق على اسمه (رائيل) والذي يعيش في كندا وزعم أنه نبي.

[٣٢] ميدل ايست اونلاين - ٢٠٠١/٥/٢٦م

لذلك فإن الكونجرس الأمريكي أجرى مناقشات حول أول مشروع قانون يحظر الاستنساخ البشري، ويقترح التشريع حظر الاستنساخ مباشرة، ويفرض على من يحاولون ممارسته عقوبات قاسية تبلغ عشر سنوات سجناً أو مليون دولار أمريكي، مع التذكر أن الاستنساخ محظور حالياً في خمس ولايات أمريكية(٣٣).

كما أن اليونسكو أكدت أن الاستنساخ البشري أمر غير مقبول ضمن أي ظرف من الظروف، وأن الإعلان العالمي للجنس البشري وحقوق الإنسان حظّر مثل هذا السلوك واعتبره اعتداء على الكرامة الإنسانية. كما أن المادة /١١/ من الإعلان المذكور تنص على أن أي ممارسات تتعارض مع الكرامة الإنسانية كإعادة استنساخ كائنات بشرية لن يسمح بها وعلى الدول والمنظمات الدولية التعاون للكشف عن مثل هذه الممارسات لضمان احترام المبادئ والأسس التي اشتمل عليها الإعلان، وأن جميع البحوث التي تتعلق بالجنس البشري وبشكل خاص البحوث البيولوجية وبحوث الجينات والأدوية يجب أن تخضع لأسس احترام حقوق الإنسان والكرامة الإنسانية للأفراد والمجموعات (٣٤).

هذا، وقد عقدت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ندوة في الدار البيضاء في المملكة المغربية خلال الفترة من ١٤-١٧ حزيران ١٩٩٧ لدراسة مسألة الاستنساخ وقد انتهت إلى التوصيات التالية :

(١)- تجريم كل الحالات التي يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية سواء أكان رحماً أم بويضة أم حيواناً منوياً أم خلية جسدية للاستنساخ.

(٢)- منع الاستنساخ البشري العادي، فإن ظهرت مستقبلاً حالات استثنائية عرضت لبيان حكمها الشرعي من جهة الجواز.

(٣)- مناشدة الحكومات لوضع التشريعات القانونية اللازمة لغلق الأبواب المباشرة وغير المباشرة أمام الجهات الأجنبية والمؤسسات البحثية والخبراء الأجانب للحيلولة دون اتخاذ البلاد الإسلامية ميداناً لتجارب الاستنساخ والترويج لها.

---

(٣٣) http: // news bbc co.UK.. 26.5>01. P.1 of 3

(٣٤) http.// www.naseej.com. 26.5.01.

(٤)- الدعوة إلى تشكيل لجان متخصصة في مجال الأخلاقيات الحياتية لاعتماد بروتوكلات البحوث في الدول الإسلامية من أجل إعداد وثيقة عن حقوق الجنين.

الخاتمة

نخلص مما تقدم إلى أن الاستنساخ التكاثري بكل أنواعه حرامٌ شرعاً ويتضمن اعتداء على الحقوق الملازمة لشخصية الإنسان لما يحمله من ضرر فادح على الحق في الحياة السليمة والسوية، وعلى التمايز القائم بين أفراد البشر من خلال الحق في الصورة وقسمات الجسم، ولأنه يؤدي إلى الحط من الكرامة الإنسانية، إضافة إلى أنه يؤدي إلى اعتداء واضح على قدرة الخالق في صنع خلقه.

فالسيطرة على طبيعة المولود من طريق الاستنساخ عن طريق اختيار البويضة،والخلية، والحامل، يعدُّ تدخلاً خطيراً في إرادة الخالق من جهة، وقد يؤدي إلى فساد الإنسانية ودمارها من جهة أخرى لأن العلم لا يتوقف عند حد،وكما نستطيع التحكم بصنع إنسان ذكي وجيد نستطيع أن نفعل العكس وفي هذا شر مستطير وهو من علائم القيامة [٣٥].

لذلك فإننا نرى ما يلي:

١- إصدار التشريع اللازم الذي ينص على حظر التكاثر البشري بالاستنساخ في جميع أنواعه وصوره وأشكاله، وبأية طريقة كانت لأن الطريق الطبيعي للتكاثر هو مؤسسة الزواج.

٢- إجازة التلقيح الصناعي خارج رحم المرأة بعد ثبوت إخفاق كل وسائل العلاج بتقارير طبية مؤيدة بتحاليل وصور مخبرية، وأن لا يكون إلا بين امرأة وزوجها ومن خلال المني والبويضة، وليس عن طريق الخلية والبويضة تأكيداً وتثبيتاً لقوله تعالى : ﴿ إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ﴾ [٣٦].

٣- اعتبار كل اتفاق يكون محله إنجاب أطفال أو استنساخهم عن غير طريق مؤسسة الزواج، ومن غير نطفة الزوج أو بويضة المرأة وفي غير رحم الأم صاحبة البويضة، باطل قانوناً وحرام شرعاً، لأنه لا يمكن إنجاب أطفال وعقد اتفاقات تتعلق بمصيرهم عن غير الطريق

---

[٣٥] الإمام محمد شلتوت، الفتاوى، المرجع السابق، ص ٣٢٦-٣٢٨

[٣٦] سورة الإنسان الآية ٢

الطبيعي الذي رسمته الشرائع وقررته القوانين والنواميس والأخلاق. بمعنى آخر حظر تبادل اللقائح بين الأزواج، ومنع استعارة الأرحام أو استئجارها من أجل شتل أو زرع البويضة الملقحة سواء كان التلقيح بمني الأزواج أو بطريق الخلايا.

٤- حظر حفظ البويضة الملقحة عن طريق التجميد أو بأية وسيلة من أجل استعمالها لاحقاً في عمليات الإنجاب، ومنع استخدام الأجنة بالبحث العلمي من أجل الاستكشاف أو التدخل في الأوصاف الموروثة سواء قبل الحمل أم بعده.

٥- فرض عقوبات رادعة بحق كل من يخالف أحكام المنع والحظر المشار إليها وذلك حفاظاً على سلامة المجتمع وقيم الإنسان وكرامته.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق ٢٠٠١/٧/٨.